



ترجمة : الدكتور همام ...

اعود اليوم الى قراء « الحضارة » وفي جمعتي مقطع آخر من كتاب « تاريخ
الرساليات التبشيرية » تأليف القس (ستيفن نيل Stephen. Neill) وفي هذا
المقطع يتحدث المؤلف عن ماضي وحاضر التبشير في افريقيا ويظهر مواقف
المبشرين العدائية تجاه استقلال الدول الافريقية ويكشف عن « سطحية » عملهم
التبشيري ، وعن « تعميدهم » بالجملة .. لمئات الالوف من الافريقيين الذين
لا يعرفون شيئا عن النصرانية ولا يطبقون شيئا من تعاليمها . وعن « كذبهم »
في تقديم الاحصائيات المغلوطة ، وعن « فضائح » كبار اتباعهم ، وعن اعدائهم !!
الذين يخافونهم وعلى رأس قائمة الاعداء !! الاسلام الذي يقض مضاجعهم ..
واليكم ايها الاخوة القراء الترجمة الحرفية لهذا المقطع الذي يحمل عنوان :
« افريقيا » ..

يقول المؤلف :

... ومن سوء أن نتقل طبيعيا
لبحث المنطقة الهامة التالية : افريقيا،
وهنا ايضا نجد تغييرات جذرية هامة
حدثت بسرعة مذهلة ، لم يكن سهلا
على أي انسان من الجيل السابق أن
يتكهن بها !!! ، فلقد استقلت البلاد
الافريقية واحدة تلو الأخرى ، وهكذا
أوجد تحول المستعمرات الانكليزية
والفرنسية والبلجيكية السابقة
مجموعة من دول افريقية حديثة ...
غيورة على استقلالها ... غير واثقة
بنفسها ... رافعة دائما صوتها ...
وغير مستعدة للانضمام للشرق أو

للغرب في الصراع القائم من أجل حرية
العالم .

ولقد أظهرت المأساة التي حدثت
في الكونغو البلجيكي - سابقا - عظيم
الايخثار !! التي تنتج عن « الاستقلال »
إذا منح هذا الاستقلال فجأة ودون
تحضير مناسب . أما نجاح نقل
السلطة الى الوطنيين في كل الدول
الافريقية الأخرى فهي معجزة !!
هذا العصر . ولقد ظهرت ابعاد هذه
التجربة في اعطاء الحكم الذاتي
لست وعشرين دولة ... في أقل من
خمسة عشر عاما . وكانت « نيجيريا »
أحدى هذه الدول وهي أكبرها في

والكاثوليك ١٨ مليوناً في كل إفريقيا
(ما عدا الشمال الإفريقي المسلم) .
وإذا كان عدد سكان إفريقيا كلها
(١٨٦) مليوناً فإن المسيحيين فيها
يشكلون سدس السكان (٢) .

وهذه نتيجة مدهشة عندما نتذكر
أن تاريخ التبشير في أكثر مناطق
إفريقيا لا يتعدى مئة عام (١٠٠) .
ولقد بدأ التحسن الملحوظ منذ
خمسین عاماً فقط وليس هناك دلائل،
حتى الآن ، تشير أن سرعة هذا
النمو قد بدأت في التناقص .

ويجب الانتباه إلى أن الأرقام
المقدمة عن عدد (المسيحيين) في
إفريقيا هي أعلى بكثير مما سجلته
الكنائس التبشيرية من أعداد ، لأن
كل من نال حظاً من التربية !!
يسجل نفسه « مسيحياً » بالرغم
من أن صلاته بتعاليم الكنيسة ضعيفة
جداً .

وعلى كل حال فحتى لو حسبنا
نسبة معينة من الأرقام المقدمة ،
تبقى الحقيقة قائمة على أن النمو
المسيحي في إفريقيا هو واقع ضخم
في عصرنا الحاضر ... ومع ذلك
فليس هناك مسيحي عاقل واحد
يميل للسرور والرضى بالحالة
الراهنة في إفريقيا الآن .. فهناك
خطر داهم من خمس جهات مختلفة

تعداد السكان الذين يبلغون أكثر
من أربعين مليوناً (١) . وهي في الواقع
أحدى كبريات دول العالم . وفي كل
دولة جديدة من هذه الدول توجد
أقلية مسيحية - على الأقل - وكل
زعيم سياسي إفريقي تقريباً هو
- مسيحي - اسماً على الأقل - ،
باستثناء الزعماء المسلمين لنيجيريا
الشمالية ، ومن المظاهر المشجعة في
هذا النمو السريع هو أن قسماً كبيراً
منه لم يكن نتيجة أعمال «المبشرين»
بقدر ما كان نتيجة أعمال «المبشرين»
الإفريقيين أنفسهم .

ويصعب جداً - في إفريقيا -
الحصول على إحصائيات دقيقة ،
وإذا ما وجدت هذه الإحصائيات
فيجب أن تدرس بحذر وتحفظ ،
وفي هذا العام الذي أؤلف فيه كتابي
هذا (١٩٦٤) هناك من يدعي أن
عدد البروتستانت في إفريقيا
الاستوائية يبلغ ١٩ مليوناً وعدد
الكاثوليك ٢٦ مليوناً . وهذه الأرقام
مبالغ فيها إلى حد كبير مثل كل
الأرقام المسيحية الأخرى ، وهي ،
على كل حال ، تشمل السكان البيض
في اتحاد جنوب إفريقيا وروديسيا .
وإذا أردنا تقديراً معقولاً لعدد
المسيحيين في إفريقيا نقول : أن
تعداد البروتستانت هو ١٢ مليوناً

(١) الواقع أن سكان نيجيريا يبلغون ٥٥ مليوناً حسب الإحصاء الأخير . « المترجم »

(٢) بالرغم من أن المؤلف ينتقد « مبالغة » الإحصائيات التبشيرية إلا أنه يقع هو أيضاً في نفس
الخطأ ويبالغ بأرقامه التي يقدمها وهي أعلى بكثير من الحقيقة والواقع ، لذا نراه يتراجع ،
جزئياً ، عنها بعد أسطر قليلة .

يهدد استقرار الكنيسة فيها .

الامر الاول هو ان الاسلام في افريقيا حقيقة كبيرة تقف على مسرح الاحداث . ولقد قيل ، بحق ، ان هناك خمس قوى تتصارع الآن في سبيل السيطرة على « روح » افريقيا وهي : ١ - التقاليد الافريقية القديمة ، ٢ - المادية الجردة ، ٣ - الشيوعية ، ٤ - المسيحية ، ٥ - والاسلام .

أولا - أما الاسلام فهو قوة كبيرة ولا شك أنه ينتشر بسرعة مذهلة، وبالرغم من عدم وجود منظمات تبشيرية تعمل له فإنه أظهر ولا يزال يظهر قوة كبيرة في التطفل والانتشار ، لأنه يعرض نفسه على أساس أنه دين افريقي ولا يفرض الا واجبات قليلة على الوثنيين لتغيير حالهم من الوثنية الى الاسلام بعكس ما تفرضه النصرانية !! . فهو - أي الاسلام - يستطيع السيطرة التعاليم الاسلامية في مدد قصيرة على حياة قبيلة بأسرها ويكيفها حسب جدا .

ومن المؤسف حقا عدم وجود معلومات دقيقة عندنا عن وزن قوة دفع الاسلام ومدى عمق اتجاهه وحركته .

وهناك تصريحات مرعبة تظهر من أن لآخر في بعض الصحف والمجلات منها مثلا :

« ان عدد الافريقيين الذين يدخلون

في الاسلام هو خمسة اضعاف عدد الذين يدخلون في المسيحية » .

قد يكون ذلك صحيحا في بعض المناطق الافريقية ، وليس في كل افريقيا ، والا كانت النسب المعلنة بين الاديان المختلفة غير ما هي عليه الآن . والظاهر أن نصف سكان افريقيا الاستوائية لا يزالون حتى الآن وثنيين ، وهذا لا يعني مطلقا ان لا تنظر الكنيسة بعين الجدل الى هذا الامر... الذي كانوا يسمونه .. الخطر الاسلامي ، وعليها - أي على الكنيسة - أن تتدبر بسرعة افلاسها في المعلومات الدقيقة عنه .

ان فقدان استراتيجية العمل في الارساليات التبشيرية البروتستانتية يظهر بوضوح في افريقيا أكثر من أية بقعة أخرى في العالم .

ثانيا - تهتز الكنيسة بعنف - من أن لآخر - عندما تقوم الوقائع الثابتة التي تشهد بسطحية عملها التبشيري و « تفاهة » عملية « التمسح » التي قامت وتقوم به .

وأول مشكلة قائمة لم يوجد

لها حل بعد هي موضوع تعدد

الزوجات ! ماذا يجب أن يكون موقف

الكنيسة من هذا التقليد القديم الذي

بعم كل مناطق افريقيا الاستوائية،

ان كل الكنائس الاوروبية التي تعمل

في افريقيا تقول بالزواج بواحدة فقط،

هذا هو قسم من تعاليم الانجيل

التي تناسب طبيعة الرجل !! .

« المعددين » ، ولم يظهر حتى الآن حل مقبول لهذه المشكلة (١) .

وفي نفس الوقت يظهر الإفريقيون المسيحيون تأييدهم لمسألة التعدد - بدون حدود - على أنها أمر طبيعي في أفريقيا وغالبية الإفريقيين يعتقدون أن عدد النساء في أفريقيا أكثر بكثير من عدد الرجال بالرغم من أن الاحصائيات الموجودة لا تؤيد قولهم هذا .

وتعدد الزوجات يتعلق بسمعة ومكانة الناس . فكلما ارتفع مقام رئيس القبيلة كلما ازداد عدد زوجاته اللواتي يخدمنه . ومن جهة أخرى يقوم التعدد على أساس الحاجة الاقتصادية ، ففي أفريقيا ، حيث تعمل النساء في الزراعة ، كلما زادت مساحة الأرض المملوكة دعت الحاجة لزوجة جديدة تزيد قوة اليد العاملة .

والواقع ان الكنيسة فشلت في تطبيق تعاليمها في هذا الموضوع ، وعند تأليف هذا الكتاب اظهرت احدي زياراتي لأبرشية مسيحية في شرقي أفريقيا ان كل أتباع الأبرشية - ما عدا أربعة منهم - يمارسون التعدد .

ولا تقبل الحلول الوسط ولا التنازلات - مهما صغرت - في هذا الموضوع ، وهكذا الحّ المبشرون الأولون على (الميثر) أن يتخلى على كل وزجاته ما عدا الأولى منهن ، ولكن هذا الأمر أدى الى فوضى اجتماعية خطيرة وإلى اضطراب أخلاقي مخيف . والأمر الأهم هو أن هذا الموضوع يُنظر الإفريقيين من المبشرين ويشير الإحقاد عليهم في قلوب الزوجات والأولاد الذين حرّموا ، وأبعدوا عن والدهم .

لذا رؤي انه من الأحسن غض النظر !! عن الذين سبق لهم التعدد في الزوجات وصارت الإرساليات التبشيرية تقبل تسجيل هؤلاء الزوجات في عداد أتباعها دون تسجيل أزواجهم ، وهذه الطريقة غير المنطقية كانت الحل الوحيد الذي أمكن التوصل إليه بالرغم من غرابته التي أدت الى جعل عدد النساء المسجلات في الكنيسة أضعاف أضعاف عدد الرجال الذين مارسوا تعدد الزوجات قبل « تبشيرهم » ، إلا ان هذا التحديد لم يراع ، والظاهر ان هذه الكنائس تجاهلت موضوع التعدد كليا وقبلت كل من يقبل تعاليمها من

(١) لا تقييد ولا تحديد لتعدد الزوجات عند الإفريقيين - غير المسلمين - فقد يتزوج الواحد منهم عشرات ومئات وهذا ما يفعله حتى الآن (المنتصرون) منهم أمام بنوع وبصر الكنيسة .

« المتنصرين » الأفريقيين من الاستمرار في الاعتقاد بالسحر والشعوذة والقيام بالطقوس التي توجبها . وهكذا عجزت المسيحية عن تحطيم هذه (القوالب الفكرية) القديمة . ورغم أن أكثر هذه المعتقدات غير ضارة إلا أنها لا تناسب أبدا والمبادئ والمقاييس المسيحية .

ولقد قلقت الكنيسة في السنوات الأخيرة من تعدد حوادث القتل بين أتباعها : وهذا القتل من الطقوس التقليدية التي تقوم على أساس : أن بعض أجزاء جسم الإنسان تحوي طاقة !! سحرية عجيبة ! وحتى يستفيد البعض من هذه (الطاقة) ! يعمد إلى قتل إنسان برى ويستأصل الجزء المعنى من جسمه ، والقتل لا يكون بدافع الكره أو الحقد على الضحية بل بدافع الحاجة إلى هذا الجزء من جسمه .

ولا يحق للمجتمع الغربي - في رأيي - أن يفتقد كثيرا هذه المعتقدات فهو نفسه - أي المجتمع الغربي - يعاني من نوبات شيطانية مزمنة تشبه هذه النوبات البدائية الأفريقية إلى حد كبير في المعتقدات والطقوس .

ولقد كان اعتراف بعض كبار أتباع الكنيسة المرموقين في أفريقيا بممارستهم لهذه الطقوس ، نقول ، كان لذلك صدمة عنيفة أثارت الفزع والرعب في قلوب الذين سمعوا بها .

وموقف الكنيسة الآن هو : بالرغم من فشلنا في هذا الموضوع لابد لنا من الدعوة دائما إلى الزواج بإراحده، ويتساءل كثير من الأفريقيين المتنصرين عن جدوى هذه الدعوة ويشككون في ضرورتها ولزومها ويقولون : أن الزواج بواحدة عادة أوروبية حاول المبشرون ادخالها إلى أفريقيا لأنها فقط عادة مألوفة لديهم ، ألم يحن الوقت بعد لاعتراف الكنيسة بأن أفريقيا ليست أوروبا، وأن عليهم إعادة النظر فيما يعتبرونه مبادئ أساسية ، وأنه لمن الصعب !! حقا على أية كنيسة أن تقبل « بالتنازلات » على أساس هذا النقاش .

وطلب إعادة النظر في القيم الأفريقية الحاضرة أمر حسن وضروري ، والذي يظهر من هذه الدعوة هو محاولة الأفريقيين تثبيت قيمهم القديمة التي ورثوها عن عهود قديمة يعتبرها المسيحيون ... عهدا مظلمة .

والفلسفة الأفريقية تقوم على الإيمان بالقوى غير المنظورة .. قوى الشر وقوى الخير ، لذلك يقوم التطبيب في أفريقيا على أساس « السحر » وعلى أكتاف (السحرة) حتى بعد أن (يتنصر) الأفريقي يبقى محافظا على معتقداته هذه ، ولم يستطع الإيمان المسيحي أن يمنع